

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المحاضرة رقم 12 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

مقدمة من طرف د. سمير قريد أستاذ محاضر أ إلى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية

أهم رواد ونظريات العلوم الاجتماعية: هربرت سبنسر ونظرية قانون التطور

يعد عالم الاجتماع البريطاني هربرت سبنسر (1820-1903) أبرز أنصار النظرية العضوية في علم الاجتماع التي تحاول الأخذ بفكرة المماثلة العضوية بين المجتمع والكائن العضوي، كما يعد أبرز رواد الاتجاه الدراويني في علم الاجتماع، وهو الاتجاه الذي يؤكد أن تطور المجتمع الإنساني يسير عبر مجموعة من المراحل الحتمية التي لا يمكن إرادة البشر تغييرها؛ فالتطور الاجتماعي عند أنصار هذا الاتجاه محكوم بقوى طبيعية تتجاوز إرادة الإنسان.

ومن هنا، فنظرية سبنسر هي نظرية عضوية وبيولوجية وارتقائية بامتياز، تقارب السوسولوجيا المجتمعية انطلاقاً من المقرب البيولوجي الارتقائي والنشوي. وتعبير آخر، فهذه النظرية نظرية تطويرية تاريخية قائمة على ثنائية التجانس واللاتجانس، وثنائية البساطة والتركيب، وثنائية التماثل والتباين، وثنائية التباين والتكامل. ومن هنا، فقد أقام سبنسر "تصوره لعلم الاجتماع على مبدأ المماثلة بين الحياة البيولوجية والحياة الاجتماعية، حيث يقرر أن في الحياة ميلاً إلى التفرّد، والتفرّد هو غاية كل ارتقاء، وكل ارتقاء إنما ينطوي على الانتقال من التماثل إلى التباين، أو من المتجانس إلى اللامتجانس، ويقرر كذلك أن التخصص هو غاية كل تطور وارتقاء في الموجودات، وينتقل سبنسر بهذه الحقائق من ميدان الحياة البيولوجية إلى ميدان الحياة الاجتماعية، فيحاول تطبيقها على هذه الحياة مشبهاً إياها بالحياة البيولوجية، وبعد أن يشرح كيفية نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها ووضوح وظائفها، وازدياد ظاهرة التفرّد والتخصص حتى وصلت في العصر الحاضر إلى أدق مظاهرها (جميل حمداوي، 2015: 43).

يصنف سبنسر المجتمعات الإنسانية إلى أنواع مختلفة حسب تقدمها وارتقائها الحضاري، وعمله هذا يشبه البايولوجي عندما يصنف الحيوانات والنباتات إلى أنواع وفصائل مختلفة، يعتمد تقسيم سبنسر للمجتمعات البشرية على نظريته الارتقائية، هذه النظرية التي تنص على أن المجتمعات في حالة حركة

مستمرة نحو هدف معين. يقسم سبنسر المجتمعات الإنسانية إلى أربعة أنواع رئيسية حسب درجة تطورها ورقبها الحضاري والاجتماعي، وهذه هي المجتمع البسيط والمجتمع المركب والمجتمع المركب مضاعفاً والمجتمع المركب تركيباً ثلاثياً، ويجب أن نشير هنا إلى أن سبنسر قد أرجع سبب تطور المجتمع ونشوئه إلى عامل التكاثر السكاني يستلزم اعتماد قوانين التخصص وتقسيم العمل، ثم ظهور الفروع المتشعبة للحياة الاجتماعية التي تنظمها الأعراف والقوانين الاجتماعية (إحسان محمد الحسن، 2010: 114).

نشر "سبنسر" مقالته الشهيرة "فرضية التقدم" في عام 1852، أي سبع سنوات قبل ظهور كتاب "أصل الأنواع" لداروين، الذي طرح فيه نظرية التطور العضوي بعد أن أدرك بأن فكرة التطور تكمن في الصراع من البقاء، وفي عام 1878 استطاع سبنسر التوصل إلى قانونه الكوني المتعلق بالتقدم الطبيعي والعضوي والاجتماعي ذلك التقدم الذي تتحول فيه الأشياء المتجانسة إلى أشياء مختلفة ومتشعبة كل منها يخص بأداء عملية (وظيفة) معينة تختلف عن العمليات (الوظائف) الأخرى ثم لا تلبث هذه العمليات أن تتجمع في وحدة متكاملة تساعد على ديمومة الحياة الاجتماعية والطبيعية (عبد المجيد لبصير، 2010: 250).

يمتلك أي مجتمع متطور - حسب سبنسر - ثلاثة أجهزة عضوية: الجهاز الداعم هو تنظيم الأقسام التي توفر التغذية في العضوية الحية، وهو انتاج المنتجات الضرورية في المجتمع. أما جهاز التوزيع يكفل الربط بين الأقسام المختلفة للعضوية الاجتماعية من خلال تقسيم العمل. وأخيراً، يكفل الجهاز التنظيمي، في شخص الدولة، خضوع الأجزاء للكُل. أن الأجهزة المحددة للعضويات هي المؤسسات، كما أحصى سبنسر ستة أنواع من المؤسسات: المحلية، الطُقسية، السياسية، الكنسية، المهنية والصناعية، وسعى إلى تتبع تطور كل واحد منها عن طريق تحليل تاريخي مُقارن. ولكن ما هي قوانين هذا التطور؟ يحتل مفهوم التطور مكانةً مركزيةً في نظرية سبنسر. ووفقاً له، ان الظواهر التي تحدث في أي مكان هي جزء من العملية العامة للتطور. ان هناك تطوراً واحداً فقط، وهو يحدث بنفس الطريقة في كل مكان (مالك أبو عليا، 2020).

وبالمجمل يمكن تلخيص أهم أفكار سبنسر في التغيير الاجتماعي كما يلي:

- 1- أُعْتَبِرَ سبنسر في حياته ممثلاً للداروينية الاجتماعية.
- 2- أُشْتُهِرَ بمحاولة توحيد النظرية الاجتماعية مع النظرية الداروينية فأكد في كتاباته على أن المجتمع جزء من الطبيعة يخضع لقوانينها.

3- طالب بعدم التدخّل في عمليّة التطوّر مؤكّداً على أنّ المجتمع يخضع في تطوّرهِ لقوانين خاصّة به هي جزء من القوانين الطبيعيّة، وتدخّل الدولة أو الجماعات الأخرى في هذه العمليّة يُعيقها، وقد يؤدي إلى نتائج سلبية.

4- قام سبنسر بكتابة (دراسة علم الاجتماع) باستخدام عدد من المفاهيم التي طوّرها داروين مثل: التنوّع البنائي، والتخصّص الوظيفي، والارتقاء التكيفي لتحليل عمليّة التغيّر في المجتمع التي نظّر إليها على أنّها عمليّة تطوّر طبيعيّة تُشبه التطوّر البيولوجي، تؤدّي بالمجتمع إلى الوصول إلى مرحلة أعلى في الارتقاء.

5- يُوضح سبنسر في نظريته أنّ المجتمع الإنساني ينتقل في تطوره من مرحلة التجانس إلى مرحلة اللاتجانس. ويكون المجتمع في المرحلة الأولى بسيط البناء غير مُتخصّص الوظائف.

6- المجتمع اللاتجانس عند سبنسر فإنّه مُعقّد التركيب أو البناء، نتيجة لتنوّع الأبنية الاجتماعيّة التي يتضمّنُها وتكاثُر أعدادها. ونتيجة لذلك يظهر التخصّص الوظيفي، فيتخصّص كل بناء بوظيفة واحدة ممّا يؤدي إلى زيادة قدرته على القيام بهذه الوظيفة، ويؤدّي أيضاً إلى تأدية هذه الوظيفة بكفاءة كبيرة تُيسّر الوصول إلى مرحلة أعلى من الارتقاء التكيفي.

7- ترتبط عمليّة التنوّع البنائي، وعمليات التخصّص الوظيفي في تحليلات سبنسر بعوامل بيولوجيّة إلى حدّ كبير وأهمها ازدياد حجم المجتمع الذي يؤدّي إلى ظهور حاجات ووظائف جديدة يجب تلبيتها فتتفرّع الأبنية الاجتماعيّة وتنوّع نتيجة لذلك لتتمكّن من القيام بهذه الوظائف الجديدة فيتعدّد تركيب المجتمع ويظهر التخصّص الوظيفي، وتزداد القدرة التكيفيّة.

المراجع

1. إحسان محمد الحسن (2010). النظريات الاجتماعيّة المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعيّة

المعاصرة. ط2، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

2. العياصرة رفاع (2019). نظرية هيربرت سبنسر في التغيّر الاجتماعي.

<https://e3arabi.com/%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%B1-4%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D9%87%D8%B1%D8%A8%D8%B1%D8%AA-%D8%B3%D8%A8%D9%86%D8%B3%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%91%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7/>

3. حمداوي جميل (2015). نظريات علم الاجتماع. المملكة العربية السعودية: شبكة الألوكة.
4. لبصير عبد المجيد (2010). موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
5. مالك أبو عليا (2020). مفاهيم هربرت سبنسر السوسيولوجية.

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=670939&r=0>